

الشيخ الشيببي معلت من معالم العراق

بقلم : الاستاذ عبد الهادي التازي
عضو المجمع العلمي العراقي ببغداد

في كل فائدة ، وفي كل علم ، وفي كل متعة ...
تعدت بهذا التقديم أن ناخذ فكرة عن الوسط الذي
نشأ فيه «الشيببي» ...

ولد بالنجف يوم 6 رمضان 1306 (1889-1889)
وتلقى نجه بين أقرانه وأصدقائه من العرب والعجم على
السواء ، وعلى عادة طلبة المعاهد الدينية فقد كان إلى
جانب دراسته الإسلامية يقوم بنشاط وطني بل يعتبر
ذلك من مكملات الدين وتماماته ، ولهذا تلمس في
آثاره الكثير من الانتفاضات والانتفاضات ، وفي أعقاب
الحرب العالمية الأولى ساهم في تنظيم عرائض من جميع
أنحاء العراق رفعت إلى مؤتمر السلام ، وقد أوفد إلى
سوريا والحجاز بتكليف من صحبه وذلك من أجل
توحيد الجهود مع بقية قادة العرب .

وقد أسهم في الثورة العراقية المشهورة سنة
1920 بل كان من رجالها الأولين وكان معروفاً بمناهضته
لكل المشروعات والاحلاف التي كان يعتقد أن فيها
مساساً بمصالح العراق أو تهديداً لكيانه .

* * *

وعندما بلغ خمسا وثلاثين سنة تقلد منصب وزارة
التربية الوطنية لأول مرة في وزارة المرحوم ياسين
الهاشمي ، وغادرها بعد حين ولكن ليعود إليها مرة
ثانية وثالثة ورابعة وكان آخرها سنة 1947 في وزارة
المرحوم السيد محمد الصدر .

ودخل البرلمان فكان عضواً بمجلس الاعيان ورئيساً
له وزعيماً للمعارضة أكثر من مرة ! وقد ظل بعد ثورة
14 يولييه 1958 محل احترام من سياسة العراق ومكان
شورى لديهم . يرضون مطالبه وينشرون مناقبه ...

* * *

ولم يقطع الشيببي وهو في المنصبين : - وزيراً
ومعارضاً - صلته بالعلم وأهله فظل بيتته منتدي

العراق بما يحتضنه من أسر نبيلة وبيوت كريمة ،
وبما يضمه من أطلال من الحضارة باقية ، وملاح من
الماضي زاوية ، يسهم في بناء مجتمعنا أيضاً اسهام ،
ويعزز من كياننا أيضاً تعزيز .

وبيت الشيببي يعتبر من أشهر البيوتات في
العراق التي تنتمي إلى القبيلة العربية المشهورة :
بني أسد ، وقد عرف هذا البيت بعلمائه وشعرائه
ورجال الاعمال والخير فيه ، والشيخ محمد رضا
الشيببي يعد من أبرز الشخصيات المحترمة في هذا
البيت الاصيل .

وقد نشأ في بيئة النجف وترعرع بها وهناك
تناول علوم العربية والاصول والبلاغة ، ودرس الدين
والفقه والتاريخ فهو خريج «مدرسة النجف» المعروفة
برجالها وأقطابها .

والنجف عندنا في المغرب قد يكون في نجوة عند
بعض الناس ، ولذلك فان من الواجب أن نعرف أن هذا
النجف فيه يرقد الامام على كرم الله وجهه ولذلك فهو
من قديم ملاذ العلماء والادباء والدارسين ، وهو مهجر
رجال الفضل والتقى والدين . واعترف بأنني في كل
مرة زرت فيها النجف اكتشفت ناحية جديدة فيه ...
وما رأيت بلدة أثرى فيها العلم ، وأيسر فيها العيش ،
وأحلى فيها الانس منها في العتبات المقدسة ... ضمتني
مجالس النجف بافذاذ العلماء وعيون الشعراء ، وقضيت
الساعات في الحديث اليهم فكان حديثهم نعم الحديث
وكانت نكتتهم أحلى النكت .

بلدة القانع بالقرص فما لونت منه طعوم تستطاب !

نعم بلدة القانع بالقرص كما يقول شاعرهم لكننا
أيضاً بلدة الطعوم المستطابة ... ولذلك فان على ضيوفهم
أن يتحملوا انواع التكريم ... ولا بد لضيوفهم أن
يتناولوا على موائد النجف أطعمة بنى ساسان !

فيما اذكر في منتهى الحر بالرغم من المراوح السقفية والمبردات الهوائية ، جلست الى الشيخ بعباءته السوداء ، وقد وضع عمامته جانبا واخذ يتحدث لي عن العراق ، كل شيء عن العراق ... قدم الى كثيرا من الفوائد التي تظل الى الآن نصب عيني ، والشيخ الشيبيني أجدر من يتحدث عن بلاد العراق فانه يحكم مركزه وبحكم المناصب التي تقلدها ، وبحكم التجارب التي مر بها فانه يتحدث اليك حديث بصير خبير ... وهو ولو أنه في تأليفه المكتوبة مسهب مفيد لكن في أحاديثه ومجالسه أكثر فائدة واطول نفسا .. ولو ان أحدا سجل عنه ما كان يستطرد به من فوائد وما يعلق به من تعاليق لكان المأثور عنه اضعاف ما هو عليه الآن ..

* * *

وإذا كانت الحياة بما تضمنه من احداث لها صلة وثيقة بالشخصيات التي عاشت تلك الاحداث فترة من الزمن ، فانه يمكن اعتبار الشيخ الشيبيني من بين أولئك الذين اسهموا في صنع جزء من مراحل التاريخ العراقي ، وان الظاهرة البارزة في العراق أن جل ما يصدر عن رجاله وقادته وعلماؤه ورؤسائه لا بد أن تجد فيه - بصفة مباشرة او غير مباشرة - أثرا يضع أصابعك على حادثة من تلك الحوادث وما نحن اولا، بجانب بعض آثار الشيخ الشيبيني :

جولة في شعره

لقد سمعنا بآثاره ونحن ما نزال في الكلية ، نتلقى من الشرق ما يرد عنه من صراخ وآنين يتمثل فيما يكتب وما ينظم من لدن رسل انسياف والقلم هناك ، كنا جميعا في الهم سواء ، اخواننا هنا يتلظون بجحيم الاضطهاد ، واخوتنا في الشرق يعكسون منا يعيشون فيه من أوصاب وآلام فيما يكتبون ، فنجد في ذلك السلوى ونظرب لذلك الصدى ... لقد وصلنا من شعره الشبي، الكثير وخاصة منه ما كان يهدف لالهاب حماس أو بث شكوى أو ثورة على تقاليد .

نعم اعتدنا ترديده كلما جرت ريح بما لا نشتي نحن المعذبين الذين نتابع في كل مكان ، ونطارده في كل جهة !

وقد عنى الاستاذ الشيبيني منذ بدايته بتسجيل انطباعاته عن الواقع العراقي ، عن المحيط الذي كان يعيشه ، وأحسبه كان لا ينظم الشعر الا عند ما يوضع في امتحان عاطفي أو يشعر بأزمة ضمير ... كنت أتذكر - وأنا اتجول ديوانه - قول القائل :

للقاصدين وملتقى للباحثين ، وهكذا فبعد اسهامه في نادي القلم العراقي انتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي سنة 1948 ، وقد كان انتخب عضوا في المجمع العلمي بدمشق منذ سنة 1923 كما انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة 1947 ... واخيرا انتخب رئيسا للمجمع العراقي الجديد بعد الثورة التي أطاحت بنظام عبد الكريم قاسم ... وقد ظل موضع احترام الى أن اختاره الله نجواره اثر سكتة قلبية صباح يوم الجمعة 26 نوفمبر 1965 حيث شيعت جنازته الى النجف في موكب كتب لرفاقه من اعضاء المجمع الثلاثة أن يحضروه ...

* * *

لقد اتبع لي أن أتعرف شخصيا على الشيخ محمد رضا الشيبيني مساء يوم الثلاثاء سادس يناير 1959 حيث قدمه الي في معهد الدراسات العسالية بالقاهرة المرحوم الاستاذ محمد شفيق غربال وهناك استمعنا اليه في احدي محاضراته على طلبية قسم الدراسات الادبية واللغوية ... واذكر ان الاسئلة كانت تنهال عليه من عشرات الطلبة واذكر أيضا ان الشيخ الشيبيني كان قوي الاستعداد لتلقي تلك الاسئلة .. وقد كانت فرصة لربط الصلة به فكانت لنا معه «قدمة» بعد انتهاء المحاضرة تبعها صلات وصلات .

* * *

ثم بعد هذا هيئت له الفرصة لزيارة بلاد المغرب الاقصى وكان ذلك بمناسبة احتفال جامعة القرويين بعيدها المائة بعد الالف . كان ثالث ثلاثة وردوا من العراق الشفيق ارضا، لدعوة وزارة التربية الوطنية وقد تحدث للناس أثناء مقامه بالمغرب عن الاثر الذي تركته جولته في المغرب ونعت هذه البلاد بأشرف النعوت فسمها «الجوهرة الثمينة» وقارن بين سواد المغرب وسواد العراق ، وأشاد بالمنجزات التي حققها عهد الاستقلال .

وعندما حضرت القاهرة في اجتماع الدورة 14 للجنة الثقافية لجامعة الدول العربية 1961-1962 جددت به الصلات اذ كان وصل تلك الديار للاسهام في اجتماعات مجمع اللغة العربية .

* * *

وعندما حللت العراق صيف 1963 سفيرا للملكة المغربية كان علي أن أزور الشيخ في بيته احياء للعهد وتجديدا لاواصر الصداقة التي جمعت به ، كان بيته مزارا للناس باستمرار وقد كان اليوم (18-6-1963)

ألا نظيرة للدارجات عهدهم
لنشهد آدابا لهم وعلوما ؟

وقال في معرض حديثه في بداية حرب 1914 منتقدا
شدة انحراف الولاة في العراق :

ألا مدرك هذى البلاد وأهلها
فقد لقيت من جور ساستها جهدا !

تفرغ أيدينا لتملا جيبتها
وتنهكنا جوعا لنشبعها حمدا !!

شوائع سنتها الجماعة غيرة
من الفرد ، أشقى الجماعة والفردا !!

وقد سجل حروب العثمانيين مع إيطاليا على ليبيا
سنة 1912 وحمل على الحضارة المفتري عليها فقال :

أو ما أتاك ببرقة نبا التي
رمت البلاد بمبرق وبمرعد ؟

ما ذا يرجى من وراء حضارة
عسى البصير بها وضل المهتدى ؟

وجدت فافقدت النفوس فضائلا
خلقت لها فكانها لم توجد !

وقال في نفس الموضوع من قصيدة أخرى :

هيئات لا يتخلى عن طرابلس
في الغرب من حرسوها وهي في الشام

يا قاذفين طرابلسا بناترة
وظالبيين لها تنوير افهام

ما خلف الغرب فينا من حضارته
الا بسواعث ارهاق وارغام !

* * *

والشيخ الشيببي وهو نجف المولد خصص جانبا
من شعره لثورة هذه المدينة التي استطاعت أن تعيش

مستقلة عن الإدارة المركزية سنتين كاملتين أيام
الاحتلال البريطاني واستهدفت - نتيجة لذلك - للقتل

والنفي والاسر والتعذيب :

يارب ممن لاناس ما لهم أحد ؟
يارب من لرجال ما لهم رجل ؟

وارحمته لمن غابوا فما حضروا
من الثغور ؟ ومن ساروا فما قفلوا !

دعو المظالم حاولتم تفسيها
ما للبلاد التي نأت بها قبل

قد اعتدنا وقد صحت مقاتلتنا
أخوكم مكره في الحرب لا بطل !

ولنقرأ قصيدته «الباكية» حول احتلال دمشق :

يشبه الشعاعر البخور فلا يند
شر طيبا الا على النار يحرق

فهو كما يلوح كان يصارع أحيانا شعره ويكابده ،
متى أحس بآلم أو شعر بسأم ، لقد أنشد هو ذات يوم :

ليس هذا الشعر ما تروونه
ان هذا قطع من كبدي !

وأشبه أيضا :

متى زحمت عوادى الدهر ركني
والتني مهين الجانبين

بسطت الى مليك الشعر كفى
فرد الهم منقبض اليدين

إذا جربت أن اقتاد بيتا
فأسلس لي طمعت بأخريين.

وقال أيضا :

رعى الله القريض وناظيه
وحتى ليم رعاية كل راع

فان لهم لآسنة حدادا
أحق من الصوارم بالذراع

وان لهم على الشعب اطلاعا
كما اطلع المظل من اليقاع !

ومن فضل الشيببي على التاريخ انه عزز النضال
العرافي بتدوين مراحل ذلك النضال منذ وقت شبابه،

ومن تيسير الشيببي على الذين يحاولون دراسة
شخصيته انك تستطيع بسهولة أن تتعرف عليه

- أخلاقا وطبعيا - من خلال ما قال وما نظم ...

يقول في معرض حديثه عن الاستقلال الذي كانت
البلاد العربية تنسده :

مرت بنا الامم الطليقة وانثنت
أخرى تعالج أسرها ووثاقها

هذى الجياد فمن تعاطى شأوها
ياشبرق فيك ؟ ومن أراد سباقها ؟

وإذا أراد الله افلاس أمة
حتى تضيع أضعها أخلاقها !!

ويقول في معرض حديثه عن اختلاط الامر بالعراق
في بحر سنة 1912 أيام كان آباؤنا بالمغرب يعيشون على

أعضابهم من أهوال الدخلاء ، ونكايات العملاء وتكسر
الأصدقاء :

طننت مشوبا من رأيت مخلصا
وخلت مصابا من وجدت سليما

اعباد هذا الشرق صرن ماتما
لكنها لعداتها أسياد !
الجزو وهو مقطب متهجم
يكي لنا والأرض رعى جماد
لسنا نعد عليك يوما واحدا
أو ليلة ، كل الزمان حداد
خنا ذمام الفاتحين وعهدهم
ما هكذا تستنجب الاولاد
انا بما نجنى وهم فيما جنوا
بش البنون ونعمة الاجداد !

ولم يفت الشيببي أن يلاحظ ان اهتمام الاستعمار
بتعميد الطرق وتمهيد السكك الحديدية لم تكن الا
لتسهيل مواصلاته هو ، وتيسر الاستغلال له هو في
طول البلاد وعرضها . يذكرني في ذلك برأى أبي العباس
الناصرى صاحب الاستقصا الذي كان يرى ان نصب
السكة الحديدية عين الضرر وان النصرارى أجربوا سائر
البلاد فأرادوا أن يجربوا هذا القطر السعيد الذي طهره
الله من دنسهم ، !! قال يرحمه الله :

مدوا الحديد وما اعتزرت لسهه
سكك الحديد بارضنا أصفاد
طرق الحديد اذا التوت وتشابكت
شرك به شرق العراق يصاد !!
ان الزعامة سلمت لسزعانف
في الشرق قادوا أمنه فانقادوا
انظر الى الاعجاز كيف تصدرت
وعنائم السادات كيف تساد !
شر العصور - وفق العصور تفاوت
عصر به تقه الاوغاد !!

* * *

ولا بد أن يكون لدجلة والفرات ذكر في شمس
العراقيين فانهما أى دجلة والفرات يظان وردا يتردد
صباح مساء على لسان كل الذين عاشوا في العراق
أو انتسبوا اليه ، فانه لا يمكن ان تعبر جانبا الى جانب
دون ان تتلى من رؤية المياه المتماوجة على صفحات
النهر .. وقد عرفت الشيببي في بيته بمنطقة «الزاوية»
على شط دجلة وكان يؤله أن لا تستمر طاقات هذين
النهرين العظيمين :

أى دمع يفيض من أى مقلة
لوقوفى بين انمرات ودجلة
آه ما أكثر الجداول تجري
فنى ربوع نعيمه ما أقله !!

من ترى حرم الزلال علينا
وعلى السماكات فيه أحله ؟
ما أخال الخير والماء الا
صوت حزن وعميرة مستهله !
أين ذاك العراق ؟ أين بنوه ؟
ليتهم أبصروا العراق وأهله !
كان للمجد وجهة للامانى
كعبة للمحامد الفخر قبله
كل يوم بين الفريقين حرب
حملة تخلع القلوب فحملة

ومن قصيدة أخرى في دجلة :
يا ماء دجلة عذبا فى موارده
لانت فى كبد الفلاح يحوم
الفقر نيك مذود وهو مفتقر
والبحر منك مجود وهو محروم
عجزتم فحياة المرء عندكم
الى السموات تقويض وتسليم !!

وشعر الشيببي الى جانب هذا يتناول ميادين أخرى
وقد ابلى فتح باب الحكم البلاء الحسن ، وعبر عن
انطباعات كانت وليدة احتكاك مع مشاكل الحياة ووليد
مقارعة مع الزمن ، اقرأوا له هذه الابيات :

ويحزننى أن الاواخر قصروا
ولم ينزعوا فى الفضل نزع الاوائل
ولم يرثوا من ديدن القوم قبلهم
سؤال مجيب أو اجابة سائل
أرى غربة الانسان شتى صنوفها
واعظما لقيان من ليس يشاكل !
وما كل ربع غص بالناس أهل
اذا كان من معروفهم غير أهل !!

أضاع صوابى عامل غير عالم
سيسأل عنه عالم غير عامل !!
احب الى الديان من علم عالم
اذا هو لم ينفع به جهل جاهل
ومن يدعى ان المرء فضيلة
فانى أرى الايمان رأس الفضائل !
أمور باسعاف المقادير نلتها
على حين أعيا نيلها بالوسائل
توسط تزدد شأنا فى الكف خمسة
وأطول ما فى الكف وسطى الانامل
وما هالنى كالموت شئ فأنسى
أرى كل شئ غيره غير هائل

أنتم جيل جديد خلقوا
لعضوز مقبلات جدد
غير مجد ان جهلتم قدركم
عدد العلم وعلم العدد
وإذا لم تستقم أخلاقكم
ذهب العلم ذهب الزبد
* * *

وإذا رجعنا الى ما اشرنا اليه آنفا من اسهامه
في المعركة التحريرية بالعراق أدركنا اذن معاني بعض
من شعره هذا :

حب الحقيقة يصيبني وان كبرت
وزج بي حيا في ماضى أسد
ياقاضيا باضطهادي ، هبك تفعل
فالحق قيد لساني غير مضطهد
قالوا : فقد سجلوها عنك سيئة
فقلت : ما دار سوء القصد في خلدي !
مضت قرون ودالت قبلها دول
أخني عليها الذي أخني على لبد

وأدركنا الاهداف البعيدة لقوله :

وأكبر عار في الاكابر صمتهم
إذا لم يبينتوا الرأي او لم يصرحوا
يقولون أقوالا ولا يفهمونها !
فان قيل هاتوا صحوا لم يصحوا !!

وادركنا معنى قوله :

على العدل فلتبك الممالك ان بنت
والا فما معنى البناء على الرمل ؟
وفي الشكل عند الغافلين تلة
وشتان ما بين الحقيقة والشكل !!
وادركنا معنى قوله :

يسومون النفوس الظلم حتى
إذا عاتبتم صبغوه عدلا !
وادركنا معنى قوله :

قالوا : فلان فاضل فرأيتهم
لا يحسبون الفضل الا المنصبا !!

وادركنا معنى قوله :

متى نحن نحيا او نموت سياسة
لها كل يوم مظهر متلون
خداع وكذب واقتراق وقسوة
وظلم ، أهذا العالم المتمدن ؟
وادركنا معنى قوله وهو يستغل فيضان دجلة

كان البرايا في الوجود قوافل
تسير الى الاجداث اثر قوافل
فتمت ركب عاجل غير آجل
وتمت ركب آجل غير عاجل !
عبورك من وادي الثقل رحلة
الى دارك الاخرى فكن خير راحل
وله من قصيدة أخرى :

احدى العجائب عدا ان يشقن
قوم ثقافتهم في أرضنا عجب !!
من معدن الشر ما سنوا وما شرعوا
ومن معانيه ما خطوا وما كتبوا
نسعى وتقعدهم والاقدار حاكمة
سيان فيها سكون النفس والطلب !!
خلد لنفسك في العقبى ذخيرتها
وراع عمرك ان العمر منتهب
لسان حال الرزايا قائل : لعبي
جد قياويل قوم جدهم لعب !!
* * *

ومن يعيش ايام الحر في العراق لا بد أن يذكر
لياليها وأنفاس سحرها ونسيم فجرها ، وليل بغداد
كله سحر كما يقول شاعرهم .
يقول الشيببي وقد هبت عليه نسيمات أنعشت
شاعريته :

نعم الليالي التي زفت أوآخرها
فهي الليالي التي اعتد من عمري
ما احسن الليل يضمني كله سحرا
وربما عيبت الاسحار بالقصر !!

وكانت تمترية أحيانا بعض الانقباضات فيركن
الى العزلة يجد فيها علاجا له من المخالطات :
لقد سرتني أني على الناس ملتو
ومنتبذ من دونهم بعرا،
وأتعب شيء للفتى كثرة العدى
وأتعب منهم كثرة الخلط، !
* * *

وفي اطار الهابة للشاعر خاطب الشباب بقصيدة
طويلة كان منها قوله :

يا شباب درسوا فاجتهدوا
لينالوا غية المجتهد
وعند الله بكم أوطانكم
ولقد أن نجاز الموعد

ليفرغ ما في قلبه من أحاسيس ضد الذين يخنقون
الحريات :

طفى الرادى كشمع احرجه

فما احتمل الهوان ولا أطاقا !
ولما قيده ليستفيدوا
أبى من قيده الا انطلقا
بربك ايها الوادى أفدنا
وعلم كيف نفتك الوثاقا ؟!

وارك قوله :

واشقى الورى من يطلب السعى للعلا

ويمنعه صوت الجهالة أن يسعنى !
إذا رام أن يستشرق الافق طائرا
هوى صاغرا ! اورام ان يستوى أفعى !

* * *

وهناك أمر تكايد منه البلاد كما تكايد منه كثير
من الامم - : الطائفية ، كل يعتز بمذهبه وكل يخذل
المذهب المقابل لكن الشيبى - وهذه احدى مزاياه
كان يسوه أن لا تتضائر الجهود وخاصة في ظروف
الشدة :

وأرى من الانسان أعجب ما أرى

جنسية منعه أن يتواسى
لم لا تشبه بالحقول يزينها
لطفًا تجمع وردها أجنسا ؟

ومن أقواله في هذا الصدد :

ففى آرائنا شيع

وفى أحزابنا فرق
قد استوى خلافكم
الا ياقوم فاتفقوا
فما هانوا من اجتمعوا
وما سادوا من افترقوا !

ومن قوله في هذا الصدد قوله :

لا تجعلوا آلة التفريق دينكم
فالدین عن وصمة التفريق معصوم !
كونوا الوحدة لا تفسخها
نزعات الرأى والمعتقد

ومن حكماته الماثورة :

جل ما فى الكون بؤس دائم
ليس يقضى وشقا. لا يزال !
من يريد المرء من ثروته
ان عقباه وعقباه النزوال !

فاطرح هم حياة كلها
تبعات وتكالييف ثقال

ومن قصائده الموجهة :

والفوز فى الدنيا لمن
نبذ المخاوف واقتحم
ولمن شأى بشياته
ورسوخه الطود الاشم
ويل الضعيف نداؤه
فى مسمع الدنيا صمم !!

ومذهب الشيبى فى المرأة لا يختلف عن مذهب
جل المحافظين المعتدلين وهو يتخلص فى أنه يكفيها اى
الفتاة بعد أن تأخذ بنصيب من العلم ان تقوم بتدبير
المنزل فذلك بها أولى وهى به أليق ...

وأرباب الحجا لهم حقوق

بنسبتهم كربات الحجال
بتدبير المنازل هن أولى
وهن أولى بتدبير النزال
ولو كلفن جلب الرزق كانت

وظيفتهن طوع الاختلال
ومن للنش. تربية وحفظا
إذا ساوليننا فى كل حال !!

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أنه كان محدود الافق
فى هذا الباب ولكنه كان يرى اننا اذا استمرنا فى
تقليد الغرب فسنواجه حتما ما يواجه الغرب اليوم من
فقدان العنصر المهيمن فى البيت ...

* * *

واصدق شعره ما كان يهدف لتقويم خلق او اصلاح
حال ، اقرأ هذه الابيات ، وهى من مختلف الجهات :
فقير من غناه طمع
وغنى من يرى الفقر غنى !
يا عبيد المال خير منكم
جهلاء يعبدون الوثنا !

* * *

يظنون هذا العصر عصر هداية
وأجدد لو ندعوه عصر ضلالات
فان خرافات مضت قد تبدلت
حقائق الا انها كالخرافات !
واكذب عصر ما تشدق أهله
- على ظلمهم - بالعدل او بالمساواة !!

* * *

لقب الناس من تولوه شيخا

وهو في جبل ما يراه صبي :

* * *

وإذا تنازعت البقاء عوامل

صح الاصح بقاؤه والاصح :

* * *

رأيت المرء انى زاد علما

تجير فكره فإزداد جيلا

خبيا الكون أكرها خفى

ولم نستجله الا الاقلا

اذا وجد المرير بأرض جبن

تولاها ، وان شجعت تولى

ومن جبل الحياة زواه دا

تفضل ما استطب ولا استبلا

والشبيبي في صدر الذين رددوا أصداء ظهور

الطائرة ، وكان ذلك حدثا فوجي ، به الناس أوائل

القرن الحال

لم تكفهم بنت البخار عجيبة

حتى بنوا للجبر منها أعجبا

حسدوا الطيور فاطلقوا أمثالها

متصعدا هذا وإذا متصوبا !

* * *

أما في باب الوجدانيات فانك لتقرأ للشبيبي لغة

حب رقيقة وعنيفة في الوقت نفسه ، حب الفقها الخفى

القوى ، يليق بنا أن نحاول تذوق لغته في الحب

فنستشف منها روحه المرحة وشعوره المرهق :

يشكو الصباية كل يوم مدع

واحقنا دعوى لها من ذاتها !

* * *

جياه الذين استهجنوا الحب كزة !!

وأوجههم شر الوجوه الجوامد !

ثنيت اليك النفس عن شهواتها

وجاهدتها ، ما حب من لا يجاهد !

* * *

وبليتى في الحب انى أينما

وجد الجمال وجدت أنى صبه !!

متواصلا يزورنى ويفبئى

حذر العدا فأزوره وأغبه

قالوا : اعتزلت الناس ! قلت : متيم

في الحب ديدنه النصار ودأبه !

* * *

لا تملوا لى أقداحا فقد ملات

الى الرؤوس سقاة الحب أقداحى

أولى الخمازين بى ما كان منيعنا

عن نشوة الشوق لاعن سورة الزاح !

كفتك عن وصف حال نظرة عرضت

كم لحظة اجزات عن شرح شراح !!

* * *

ان الهوى الفة ما بيننا حسنت

يا واحد الناس فى تأليفه الحسن

ناه عن العين أهواه ولم أره

من أجل ذلك يهوانى ولم يرني

* * *

واشقى الهوى ما كان غاية اهله

وعقباهم منه الخلاعة واللهوا

اذا نحن وازنا الهوى ونفوسنا

ومقصدنا منه عرفنا الذى نهوى

واضعف خلق الله عزما معاتب

زمانا به يستدرج الاضعف الاقوى

اذا فاتنى ادراك ما صرحت به

فتون الليالى اننى مذرك الفحوى

* * *

ما حب أهل الحب الا أدمع

حمر تسيل على شفاه تبسم

صدر من الاحقاد - وهى قوائل -

خال وقلب بالعواطف مفعم

لكن اروغ ما انشده في هذا الصدد وامتع قوله :

وألتج ما بيل قلب المشوق

على حره قبيلات الحذر !!

* * *

أما فى وصفه فقد نهج من سلفه فى دقة التعبير

والاعراب عن المشاعر ، وكما لهج بذكر جمال لبنان

قريبه اذ يقول :

ياجنة الذلد لا عدن يماثلها

ولا يماثلها فى الخلد جنات

الدهمر عندك أيام محببة

والعمر بينك مهنا طال ساعات

كذلك غنى رضا بربيع لبنان ولكن من غير ان

ينسى بغداده !

اجدر الجهود بالعناية والاهتمام .. اولية بنى العباس
... مدارسهم الحربية ، أشهر بيوتهم واستعراض معجم
ابن الفوطى ... وكتاب الاخبار والحوادث التاريخية
السائفة الذكر ... وقد كان ظهور هذين المجلدين
بادرة اتاحت لرجال البحث أن يشيدوا بمجهوده كما
اتاحت لهم الفرصة كذلك ليتابعوا المؤلف فى بعض
ما ذهب اليه ، وقد كان فى جملة من اطروا على
مجهوده وعقبوا عليه الدكتور مصطفى جواد .

وقد أصدر نادى القلم العراقى سنة 1958 مجموعة
ضمت فيما ضمت كلمتين لرئيس النسادى الاستاذ
الشيببى وكان قد تيوأ رئاسة النسادى بعد ائرحوم
الشاعر الزهاوى ... احدى الكلمتين حول المجريطن ،
والثانية حول فتح بغداد ... كما ظهر له بحث حول
التربية الاسلامية . وهو عبارة عن دراسة كان يقارن
فيها بين مدرسة المغاربة ومدرسة المشاركة .. القاعا
بكلية التربية فى موسمها الثقافى لسنة 1958 وهى
كلمة لا غنى عنها للمشتغل بالحديث عن الدراسات
المنهجية فى الشرق والغرب .

وتفضل فبعث اى من بغداد منذ 1961-1960
بمحاضراته عن أدب المغاربة والاندلسيين فى أصونه
الضربيه ونصومه العربية ، هذه المحاضرات التى كنت
سمعت بعضا من خطوطها الاولى فى القاهرة بمعهد
الدراسات العالمة على ما أسلفت ، وهى دراسة
استهدفت اولاً التعريف بجزء من كتاب الخريدة لنعاد
الكاتب ، هو الجزء المتعلق بشعراء الاندلس والمغرب .
وثانياً التعريف بأصول البحث التى اعتمدها المؤلف
فى هذا القسم من الكتاب ، اما الهدف الثالث فهو
الحديث عن طائفة من شعراء المغرب والاندلس .. وقد
أسهم بهذه الدراسة فى التذليل على ذلك الخصوص
والتعريف بناحية مهمة من نواحي الادب العربى ...
واذا كانت هذه المحاضرات لم تشر كبير مناقشة فى
المشرق فانها - وهذا متوقع - فتحت باباً لتتبعين
والمناقشة فى بعض الاوساط الادبية بالمغرب وذاكر
على سبيل المثال تعقيبات الاستاذ المؤرخ عبد الله
ابن الحسنى ...

وقد قرأنا للشيخ الشيببى رحلة له فى يدية
السماعة (قضاء فى العراق) فيها كثير من
الفوائد المتنوعة ، استطرد فيه ذكر كثير من المعنومات
التاريخية اللطيفة .

أما رحلته الى المغرب فهى الاخرى لا تخلو من قصة
ولو أنه - كما يظهر - كان يحرقها مستعجلاً ، وكنت

وما زلت يسا صيداه الا مسلاة
من الورد محبوب لرائدك النشر
وان أنس لسم أنس منها عشية
تساقط فيها الثلج وانبعث القر
وفى أرض بغداد هواء هى المنى
وعيش هو السلوى وماء هو الخمر !
متى خنت بغداد وبغداد بلدة
إذا رمت عنها الصبر خانتى الصبر

ومجمل القول ان الشيببى فى أشعاره لم يكن
فقط صاحب صنعة او صاحب احتراف ولكنه كان
يمبر عن خلجات تساعد الذين يهمهم دراسة البيئـة
العراقية ومعرفتها .

جولة فى نشره

أما نشره فان ما وصلنا منه يتم عن رغبة فى
التعجيل بالفائدة للقراء ، وتلك منقبة رجال العلم
الذين يهدفون ببحوثهم فتح المجال للآخرين كيما
يناقشوا ويتحدثوا

لقد كان الشيببى ثانياً اثنين صدرا منذ سنة 1932
لكتاب الاخبار والحوادث التاريخية الذى يجهل مؤلفه
والذى كان قد سعى آنذاك بالحوادث الجامعة ...

وقد عنى الشيببى بمؤرخ الشرق عموماً والعراق
على الخصوص عبد السرزاق المعروف بابن الفوطى
البغدادي (642-723) فتحدث فى أول محاضرة تاريخية
ألقىت بكلية الحقوق ببغداد يوم 22 أبريل سنة 1940 ،
وقد كانت محاولة مهمة فى التعريف بذلك المؤرخ
الغذ تبعتها عدة مناقشات وكتابات وأحاديث كان فى
أبرزها على ما أذكر كلمة مسببة عن ابن الفوطى
للدكتور مصطفى جواد فى المجلد التاسع من مجلة
المجمع (1962) على أن الفضل كىل الفضل فسى بعث
الحديث عن هذا المؤرخ المنصور يرجع للشيخ الشيببى
... وقد تبع ذلك التقديم عمل جدى هام من لىدن
الشيخ : ذلك قيامه المشكور بنشر تأليف مسهب فى
أدوار التاريخ العراقى من مستهل العصر العباسى الى
أواخر العصر المغولى ركز فيه على سيرة المؤرخ
المذكور بعد أن ظفر بقسم من معجمه ... وقد نشر
ذلك فى مجلدين الاول يحتوى على 260 صفحة من
الحجم المتوسط بينما يشتمل المجلد الثانى على 360
صفحة .. والحقيقة أن هذين المجلدين أسهما الى حد
كبير فى تنوير عقول الذين يهمهم الوقوف على معالم
العراق والاحوال الاجتماعية فيه على ذلك العهد ، وهو

ودخلوا بها دريا مجاورا وهكذا نفذنا الى فندق زالغ
حيث أدى القوم صلاة الشكر لله .

* * *

ولكن هل هذا كل ما قرأناه للشيببي ؟ ان الذي
يرجع الى خزائن العراق ، الى مجلاتها الى صحفها لا بد
أن يقرأ له الكثير من المسامعات ، وقد قرأت له حديثا
مفيدا عن اقدم مخطوط وصل اليها من بلاد العرب
لمؤلفه أبي علي الحسن بن عبد الله المعروف بنقده من
أعلام القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة ...

وقرأنا له بحثه الهام : (اصول اللهجة العراقية)
الذي كان نشره في المجلد الرابع من مجلة المجمع سنة
1956 لقد وجدت في هذا البحث من الفائدة ما يرب الى
فهم اللهجة العراقية الحاربة ... وما زلت أذكر انني في
مجلس من مجالس معه سأله هل كان هذا بحثه الاول
والاخير في الموضوع ولكنه ذكر ان بحثه ذلك ما يزال
في طريقه نحو التحقيق وكان هذا بمناسبة سؤالي اياه
عن مصدر كلمة «الطرشي» في اللهجة العراقية ، وهن
تعني ما نسميه بالمغرب : «المرقده» أعني بعض الخضسر
كالفلفل والباذنجان والقثاء الخ عندما تنقع في نحو
خل ... يسمونه هناك «الطرشي» ... فأملاني بيت شعر
من أغرب ما سمعته من كلام. وقد جمع فيه الطرشي على
طراشيشن :

ان الاناكير تاهت بعد ما تبجت

واستشرنت بعد ما كانت طراشيشما!

قال : الاناكير معناها أعذاق العنب ، وتساوت
معناها اسودت . وتبجت : معناها اخضرت ، والطرشي
معناه : الحامض .

وقد علمت من الاستاذ عبد الله الجبوري مؤخرا
أنه حقق كتابا للفقارابي يحمل اسم (احياء العلوم) .

* * *

وقد نشرت مجلة (المكتبة) التي تصدرها (مكتبة
المثنى) ببغداد للاستاذ قاسم الرجب أن المجمع العلمي
العراقي أصدر للشيببي كتابه الجديد : «تراثنا
الفلسفي وحاجته الى النقد والتحييص» وذلك بمناسبة
انقضاء دورة مجمع اللغة العربية ببغداد ، وبالرغم من
أننا لم نقف على هذا البحث الى الآن لكن عنوانه يدل على
أن الشيببي خلق فيه وأتى بإبداع مشوق .

* * *

وبعد فهل قلت عن الشيببي كل شيء ؟ الواقع أن
هناك جوانب من نشاطه وحياته تتطلب من المختصين
من الذين زاملوه ولازموه ان يعملوا على نشرها ... واني

أود لو وجد الشيخ متسعا من الوقت ليتحدث عن
بلاد المغرب بأطول وأدق مما تحدث به ، والشيببي
بالشيببي يذكر فقد أشار رحمه الله في رحلته هذه
لحادثة طريفة وقعت له ببلادنا استأثرت بسرها ،
لقد ذكر ان الزائر لجامعة القرويين من فاس لن يبلغها
الا «بشق النفس» ، وشق النفس في رحلته المقتضية
تفصله النادرة التالية :

لقد نزلنا راجلين الى مدينة فاس صحبة المغفور
له جلالة محمد الخامس لافتتاح حفلات عيد جامعة
القرويين (60-10-II) ، لقد كان الشيخ الشيببي يشكو
ذات قلبه ، وصعب عليه أن يرجع راجلا صاعدا من سفح
المدينة الى قنتها ، وفاس - كما يعلم ذلك زوارها
الجدد - تغرى قاصديها فلا يزالون يستسهلون
النزول في منحدراتها ، ثم بعد أن يستمتعوا من جمالها
ومن ترائها ويحاولوا الرجوع يباغتون بأن انمرتقي
ليس كالمنحدر وهكذا تخفق القلوب وتتفضع الجباه
عرقا !... لقد صارحنى الشيخ أنه لن يستطيع أن يخطو
خطوة واحدة ! وشعرت أنه فعلا عاجز عن تسلق
العقبات وانضافت اليه ثلثة من الطاعنين أو الذين
كادوا أن يكونوا ... فحاولت أن أجرب الحصار لكنه
لم يثبت على ظهره ! واضطررنا للانتظار ... واتصلت
بأحد المسؤولين بالتلفون فتحدثت اليه عن ثلثة من
المتعبين ، ففهم كلامي أن القوم في حالة احتضار ! ولذا
فقد بعث الى بثلاثة نعوش !! ومن حسن الحظ أنني
انتبهت على اثر جلبة الاطفال الى أن ألقى نظرة من
نافذة على ساحة الصفارين فاذا بى أرى النعوش
الثلاثة !! حينئذ نحييت القوم واتصلت بالتلفون من
جديد بمسؤول أعلى أفهمته الامر كما هو وأنشد تقرر
ارسال سيارة خاصة لحملهم ... وهكذا صعدنا ولما كنا
في بعض الطريق قريبا من زقاق الحجر اذا بسيارة
أخرى بعث بها جلالة المغفور له وقد كان بلغته تفاصيل
الخبر : خبر الضيوف المتعبين ! كيف العمل ؟ الطريق
من الضيق والالتواء بحيث يتعذر فيها سلوك سيارتين
ويتعذر فيه رجوع السيارة القهقرى ... وزاد في ارتباك
الامر تعلق الاطفال بالسارة والوقت وقت ظهر تعطل
فيه المدارس ! ونزول السيارة في دروب فاس أمر
غريب بالنسبة اليهم ! وكنت أسمع الى الشيخ وهو
يهمس : « لئن أنجبتنا من هذه لتكونن من الشاكرين »
وحقيقة فقد يظن أن لا مخرج من هذه الورطة الا الرضا
بركوب النعوش . وهو قال غير حميد ! ولكن سرعان
ما حضر الرجال فحملوا السيارة الملكية على أكتافهم

صحبتة ... كان يشارك في كل حديث ويكره أن تعتبره بعيدا عن بعض الحديث ... ما رأيته يوما غير متجمل الوجه الا يوم قصده لتعزيتة في سيدته الفاضلة ... فمنذ هذا اليوم كثرت انزواته وتوالت انظواته ... وبالرغم من ملامح التعب التي كانت بادية عليه فانه ظل يشعر بأنه ما يزال يستطيع أن يأخذ الطريق نولا وفاء عقيلته التي كانت بالنسبة اليه خسارة لم يعوضها حنان بناته وبنيه ... ان اختفاء زوجته من البيت كان نذيرا مستمرا يغدو ويمسى معه - يذكره بالمصير المحتم .

أذكر أن أحد أصدقائه حذره في آخر عشاء ضمني معه بأن تناول الحلويات يزيد في مضاعفات السكر الذي كان يشكوه فأجاب الشيخ ببيت من أوائل شعره :

خذ الحذر أو لا تأخذ الحذر انني

إذا جاء أمر الله بادي المقاتل !

عبد الهادي التازي

على يقين مصدره ما كان يحددني هو به ، بأن له عدة كلمات وعدة بحوث وعدة قصائد ما تزال تنتظر منه المراجعة الاخيرة لاعدادها للطبع لكنه انهاز دون أن يحقق رجاءه ، وان الامل في أن لا يعدم من تلامذته وأصدقائه من يعطفون على هذا التراث فيجمعونه ويلمونه ويقدمونه للقراء . ان الشيخ في عداد أولئك المشايخ الذين عرفناهم ممن تشعر وانت تتحدث اليهم أنهم أبناء «الندوة» التي أخذت الان - مسح الاسف الشديد - تبكي آخر تلامذتها في الشرق والغرب ، تجد في الاستئناس به ، وقلة الكلفة معه ، والاطمئنان اليه ما يحبه اليك فهو يحس ويحس ويحس ويداعب يصيح بسمعه وانت تتحدث اليه ويكتفي بادي الامر بتريدي كلمة : عجيب ! عجيب ! ثم يأخذ في التعليق على ما قلته بما لا يدع مجالاً للاعتقاد بأن العجب كان في عدم تسرعه وادعائه المعرفة قبلك فيما أسررت به اليه ! كان يكتفي في الاجابة على بعض أسئلتني المرجة بضحكة يبعثها أو نكتة يردها أو مثل يرسله ... وتلك هي لغته التي لها قاموس خاص بها يعرفه الذين أطالوا

وحدة الفكر من خلال وحدة الثقافة

دعا المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي بمناسبة اجتماع مؤتمر القمة العربي في دورته الثالثة الى اقامة موسم حول وحدة الفكر من خلال وحدة الثقافة العربية وهذا هو نص النداء الذي وجهه : ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ليبارك الخطوات الايجابية التي تخطوها شعوب العالم من الخليج العربي الى المحيط من أجل تحقيق وحدة عربية في جميع المجالات ، وأنه ليسر أن يجتمع على صعيد واحد وفي أرض المغرب العربي ملوك ورؤساء الدول العربية لجعل حد لكل ما من شأنه أن يحول دون التمجيد باقرار وحدة الوطن العربي الكبير ، وتطبيق المبادئ التي تمليها الرغبة الجماعية في اعادة بناء القومية العربية على أسس متينة تتفق والاهداف المشتركة والغايات التي تصبو اليها شعوب العالم العربي قاطبة .

وان وحدة الفكر لاساس لكل وحدة يراد تحقيقها في عالم الاجتماع او الاقتصاد او السياسة وهي تتبلور خاصة من خلال وحدة الثقافة العربية في جميع مجالاتها وبهذه المناسبة يوجه هذا النداء لجميع المسؤولين عن أجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزة كما يستلمهم قرائح الكتاب والادباء العرب أن يجعلوا من أيام مؤتمر القمة العربي المنعقد بالمغرب فرصة لتهمي. الجو الصالح الملائم لتحقيق الوحدة الفكرية التي ينشدها المغرب والتي عمل ويعمل المخلصون في كل زمان ومكان على اقرارها بين عامة شعوب العالم العربي .

هذا وقد نظم المكتب الدائم بهذه المناسبة ندوات اذاعية وملتفة واستجابات واحاديث في نطاق هذا البرنامج من 10 الى 17 شتنبر 1965 .